# « كتاب البرهان في وجوه البيان »

## تصحيح خطأ علمي ، وتحقيق شخصية كتاب ، وردّ اعتبار لمؤلف طغى على اسمه الزمان .

كتاب « البرهان في وجوه البيان » لأبي الحسين إسحق بن ابراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب ، طبع جزء منه قدر ثلثه باسم « نقد النثر » حرره وأخرجه الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي منسوباً إلى أبي الفرج قدامة ابن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ . وقد اعتمد مخرجا « نقد النثر » على مخطوطة بمكتبة الإسكوريال رقم ٢٤٣ من فهرس درينبورغ .

وقد عثرنا على مخطوطة لهذا الكتاب بمكتبة تشستربيتي رقم G 767 تحت عنوان « كتاب البرهان في وجوه البيان » وعند المقابلة بينها وبين كتاب « نقد النثر » المطبوع وجدناهما يتفقان في القدر المطبوع وتزيد المخطوطة التي بأيدينا على المطبوعة بمقدار ثلثي الكتاب تقريباً . ولم نشك في أن هذا القدر الزائد إنما هو جزء أصلي من الكتاب قد سقط منه في المخطوطة الإسكوريالية وذلك أن المؤلف قد بنى كتابه على اربعة وجوه للبيان :

البيان الأول الاعتبار ، البيان الثاني الاعتقاد ، البيان الثالث العبارة ، البيان الرابع الكتاب . والبيان الرابع ( الذي هو الكتاب ) غير موجود في النسخة المطبوعة ، وقد علل محقق هذه النسخة المبتورة هذا النقص بادعائه أن المؤلف قد ضمن الباب الثالث ( وهو العبارة ) الكلام على الوجه الرابع وهو الكتاب . وجعل بهذه الدعوى الكتاب كاملاً بذاته ، وهي دعوى قد فرضها المحقق على الكتاب فرضاً وجزم بها من غير فحص له ، فانه لو كان قد فحص



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الجزء الذي بيده من الكتاب لرأى أن المؤلف قد نبه في أثناء الكتاب على أشياء سيذكرها بعد ، ومع ذلك لم يأت لها ذكر . فمن ذلك قول المؤلف ( صفحة ١٨ من طبعة دار الكتب ) . « وأما الحديث فهو ما يجري بين الناس في مخاطبتهم ومناقلاتهم ومجالسهم وله وجوه كثيرة فمنها الجد والهزل والسخف والجزل ، والحسن والقبيح والملحون والفصيح ، والخطأ والصواب والصدق والكذب والنافع والضار والحق والباطل والناقص والتام والمردود والمقبول والمهم والفضول والبليغ والعيي » ، ثم جاء الكلام بعد ذلك عن الجد والهزل والسخيف والجزل والحسن والقبيح والملحون والفصيح والخطأ والصواب ، ولكن القول في الخطأ والصواب لم يتم كما أن القول في الصدق والكذب والوجوه الأخرى الباقية لم يأت قط . ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في باب تأليف العبارة ( ص ٤٤ — ٤٥ من طبعة دار الكتب ) « وقد ذكر الخليل وغيره من أوزان الشعر وقوافيه ما يغني من نظر فيها .... إلا أنا نذكر جملة من ذلك في باب استخراج المعمّى تدعو الضرورة إلى ذكرها فيه إن شاء الله » وليس في نقد النثر كما نشر أي ذكر أو اشارة الى باب المعمّى وذكر العروض والقافية . ومن أمثلة ذلك ايضاً أنه جاء في آخر النسخة المطبوعة هذه العبارة « وأما مراتب القول ومراتب المستمعين له فقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » واذا تصفحنا كل ما جاء في النسخة المطبوعة لم نجد ذكراً أو اشارة « لمراتب القول » ولا « لمراتب المستمعين له » على الحقيقة . وبهذا يظهر أن المخطوطة الاسكوريالية والكتاب كما طبع ناقصان نقصاً كبيراً ، وان محقق الكتاب لم ينتبه الى هذا النقص الواضح ، أو لعله أغمض عينيه عن هذا النقص ، وتلمس في بعض الأحيان تعللات لا تقوم وفرضها على الكتاب ، بدليل أننا نجد كل هذا المفقود قد جاء بالنسخة المخطوطة التي بأيدينا ، فقد جاء فيها ذكر البيان الرابع وهو الكتاب واستغرق من أصل الكتاب جزءاً كبيراً أصلياً ، كما جاء فيها الكلام على باب المعمى وذكر العروض

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والقافية بتفصيل كامل واف . وكذلك جاء فيها ما بقي من وجوه الحديث وجهاً وجهاً وكذلك مراتب القول ومراتب المستمعين له مرتبةً مرتبةً . فكانت مخطوطتنا بهذا التحقيق هي النسخة الكاملة للكتاب . ويظهر أن مخطوطة الاسكوريال كانت ناقصة أو نسخت من أخرى ناقصة فزاد كاتبها ما يشعر بالتمام وهو قوله « وقد تقدم القول فيه وبالله التوفيق » وهي عادة معروفة عند الوراقين كما حصل مثل ذلك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهشياري مثلاً .

وأهمية مخطوطتنا لا تنحصر في أنها النص الكامل للكتاب كما كتبه مؤلفه ( اي أكثر من ضعف النص المطبوع ) بل إن لها أهمية اخرى اكبر من ذلك ، وهي معرفة مؤلف هذا الكتاب على التحقيق . فقد ذكر المؤلف في مخطوطتنا اسمه كاملاً في أثناء كتابه على عادة المؤلفين المتقدمين فقال في اول البيان الرابع : وهو جزء مفقود من النسخة الاسكوريالية « قال ابو الحسين اسحق بن ابراهيم ابن سليمان بن وهب الكاتب قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا بنعمة الله ... » وهو تصريح يبطل نسبة الكتاب الى قدامة بن جعفر ويضع حداً فاصلاً للنزاع في مسألة مؤلف الكتاب ، كما ان مخطوطتنا زيادة على هذا تحمل الاسم الصحيح للكتاب وهو كتاب « البرهان في وجوه البيان » .

وإنه وان كنا لم نعثر على اسم هذا الكتاب او اسم مؤلفه مذكوراً في اي مرجع من المراجع المعروفة عندنا فقد وصلنا الى أن هذا الكتاب ليس لقدامة وتحققنا من نسبته لأبي الحسين ، وليس ذلك فقط من أجل أن المؤلف قد ذكر اسمه في اثناء كتابه بل من اجل ادلة اخرى مضمومة الى هذا الدليل :

أولاً -- يذكر مؤلف الكتاب في أثناء كتابه اربعة كتب له وهي : الايضاح ، أسرار القرآن ، التعبد ، الحجة . وهذه الكتب الأربعة لم يذكرها احد من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مؤرخي قدامة في فهرس كتبه او ما يشبهها في الاسم او الموضوع ، كما أنهم لم يذكروا له كتاباً باسم « البرهان » « أو « نقد النثر » .

ثانياً – وقد نسب الى قدامة كتاب في الكتابة ولكن هذا الكتاب لم يسمه قدامة باسم البرهان او نقد النثر وإنما سماه « كتاب الخراج وصناعة الكتابة » وهو غير الكتاب الذي بأيدينا فان كتاب قدامة هذا أو على الأصح النصف الثاني منه معروف وتوجد مخطوطة منه بمكتبة كوبرلي بالأستانة . وقد استنسخ شارل شيفر هذا المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة محفوظة الآن بدار الكتب الوطنية بباريس . وقد استخرج دي غويه نبذاً منها وطبعها تحت عنوان « كتاب الخراج » وهذه النبذ هي الأبواب الثاني والثالث والرابع والخامس والحادي عشر من المنزلة الخامسة والبابان السادس والسابع من المنزلة السادسة . واسم هذا الكتاب في هاتين النسختين ( الأصلية والمنقولة ) « الخراج وصناعة الكتابة » ، وقد وصف ياقوت هذا الكتاب في ترجمة قدامة بقوله « وله كتاب في الخراج وصناعة الكتابة » وله كتاب في الخراج رتبه مراتب وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه وكان على تسع منازل وكان ثمانية فأضاف اليه تاسعاً « ويقول المطرزي في كتاب الايضاح شرح مقامات الحريري ( مخطوطة المتحف البريطاني ) « وله تصانيف كثيرة منها كتاب الالفاظ وكتاب نقد الشعر وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه أشياء وقيل هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوالٍّ منشودة وهو كتاب يشتمل على سبع منازل وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلغاء » وقال ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ٣٣٧ بمناسبة موت قدامة ما نصه : « وله كتاب حسن في الخراج وصناعة الكتابة » .

ويتضح من كل ذلك أنه كان لقدامة كتاب على منوال كتابنا وأن هذا الكتاب يسمى « الخراج وصناعة الكتابة » وانه كان على تسع منازل أو سبع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منازل وفي كل منزلة ابواب . وهذا الوصف لا يتفق مع تبويب كتاب « البرهان » أو « نقد النثر » إذ أنه على اربعة ابواب تناولت كل ما قصد المؤلف كتابته عن الخراج وصناعة الكتابة وفضلاً عن هذا فنحن إذا قارنا الجزء المطبوع من كتاب قدامة الخاص بالخراج ألفيناه مختلفاً عن القسم الخاص بالخراج في كتابنا « البرهان » والنتيجة البديهية هي أن قدامة وابا الحسين كتب كل منهما كتاباً في الموضوع ولكن كلاً منهما سلك مسلكه الخاص في علاج الموضوع .

ثالثاً — وقد رجح دي غويه في مقدمته الفرنسية لكتاب الخراج المستخرج من كتاب قدامة في صناعة الكتابة أن قدامة ألف كتابه هذا بعد سنة ٣١٦ بقليل ، وذلك أن قدامة تحدث في أثناء كتابه عن مليح الأرمني على أنه معاصر له ، ويشير أيضاً الى إغارة أسفار الديلمي على قزوين في سنة ٣١٦ والى الشنائع التي جرت على يد مرداويج واتباعه في السنين التالية كحوادث قريبة الوقوع . ونحن نعلم مما يقوله ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ( ج٣ ص١٤٥ ـ ١٤٦ ) ان قدامة عرض كتابه هذا في سنة ٣٢٠ على عليّ بن عيسى حيث يقول «وما رأيت أحداً تناهى في وصف النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير عرض عليّ قدامة كتابه سنة ٣٢٠ واختبرته فوجدته قد بالغ وأحسن وتفرّد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشاركه فيه احد من طريق اللفظ والمعنى » . فهذا الكتاب قد تم الفراغ من تأليفه قبل سنة ٣٢٠ قطعاً . أما كتاب « البرهان » فلم يكن موجوداً في هذا الوقت ولنا على هذا ثلاثة أدلة :

١ — يقول ابو الحسين اسحق بن ابراهيم في البرهان « وقد رأيت شيخنا علي ابن عيسى رحمه الله يكاتب ام المقتدر » واشارة أبي الحسين في كتابه الى وفاة علي بن عيسى تدل قطعاً على ان علي بن عيسى لم يعش حتى يرى هذا الكتاب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد مات علي بن عيسى سنة ٣٣٥ وهو امر يدل على ان ابا الحسين الف كتابه بعد سنة ٣٣٥ .

ب — ويقول ابو الحسين ايضاً « ... ومنه ترجمة لآل مقلة ولأبي الحسن ابن خلف بن طياب رحمه الله » وقد كان ابو الحسن بن خلف هذا حياً الى سنة ٣٣٠ ( راجع أخبار الراضي والمرتضى للصولي ص ٢٣٠ — ٢٣١ ) .

ج — ويقول ابو الحسين في « البرهان » أيضاً مشيراً الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس : « وكان نتيجة هذا الإهمال وثمرة هذه الأفعال أن خرج السلطان في جيشه ، على أحسن زينة لقتال غلام من غلمانه فقتل وحده من بين اهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » وقد حدث هذا في سنة ٣٢٠ ( راجع المنتظم ج ٦ ص ٢٤٣ ) وابو الحسين يقص هذه الحادثة على أنها قصة معروفة للعبرة وضرب المثل فيما يصيب ولاة الأمر عند إهمالهم ، ولا بد ان تكون قد مرت عليها سنوات اصبحت بها مثالاً للعظة وضرب الأمثال ، فكتابه لا بد ان يكون قد أُلّف بعد هذا التاريخ .

والنتيجة التي نجمعها من كل ذلك هي أن قدامة ألف كتابه قبل سنة ٣٢٠ وأن ابا الحسين ألف كتابه بعد سنة ٣٣٥ حسب ما جاء من نصوص تاريخية في ثنايا الكتابين .

رابعاً — من الكتب المعروفة على وجه التحقيق لقدامة كتابه « نقد الشعر » وقد عالج فيه الشعر وفنونه بوجه خاص . وقد عالج صاحب « البرهان » في كتابه الشعر أيضاً ، فلو انه كان لقدامة لما احتاج الى معالجة هذه الموضوعات مرة اخرى بمثل هذا البيان الكافي ، وفضلاً عن ذلك فان معالجة الشعر في « البرهان » تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في كتاب « نقد الشعر » من الناحية الفنية والموضوعية وما تصيّده الاستاذ العبادي في تحقيقه من مقارنات إنما هو مجرد افتراضات لا تقوم امام الفحص . ومما يستحق أن نذكره من المقارنات أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قدامة في « نقد الشعر » حينما يسوق أقوال المتقدمين من الفلاسفة يذكرها مجملاً : « فلاسفة اليونان » في حين أن صاحب « البرهان » يذكرهم بأسمائهم كأن يقول « قال ارسطوطاليس ... » .

خامساً — وقد كان مؤلف « البرهان » فقيهاً شيعياً من غير شك . ودليل ذلك منثور في أثناء الكتاب . فمن ذلك اهتمامه بنقل أقوال أئمة الشيعة وذكره لهم دائماً عند كل استشهاد بما يشعر بتشيعه كقوله « الأئمة عليهم السلام .... الأئمة الصادقين ... الأئمة المستودعين علم القرآن ... روي عن الصادق عليه السلام ... » واهتمامه بنقل فقه الشيعة كاملاً في تعرضه لأقوال الفقهاء ، وترجيحه لآرائهم في بعض الأحيان ظاهرة تدل على تمكنه في نحلته الشيعية . وقدامة بن جعفر لم يكن من الشيعة ولا من فقهائهم كما هو معروف وكما يدل عليه ما كتبه عن الخراج وإنما كان نصرانياً في الأصل وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله ، وإذا أسلم نصراني على يد خليفة عباسي — وذلك إنما يكون عادة طمعاً في مناصب الدولة — فمن المستبعد ان يصير علوياً متشيعاً مرة واحدة . وما أورده الأستاذ العبادي في توجيه مسحة التشيع الظاهرة في الكتاب من أن قدامة قد جارى بني بويه بعد دخولهم بغداد سنة ٣٣٤ يرده النقد التاريخي وقد كتب قدامة كتابه في الكتابة قبل هذا التاريخ بأربعة عشر عاماً على الأقل . ومات بعد دخولهم بغداد بوقت قصير .

سادساً — وصاحب كتاب « البرهان » يُصرّ في كل مناسبة على ذكر الرجال المشهورين من آل وهب معظماً لهم فخوراً بهم كأن يقول « وقد كان شيخنا ابو علي الحسن بن وهب رحمه الله ... » « وقال ابو أيوب رضي الله عنه ... » « وقد ذكر ابو أيوب رحمه الله رجلاً مشهوراً بالبلاغة ... ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة الا بهذا القول من شيخنا رحمه الله لكفى وأجزى » . وابو أيوب هذا هو سليمان بن وهب عميد آل وهب وجدّ المؤلف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سابعاً — وهناك أمر يجب التنبيه اليه وهو ان البطليوسي في كتابه « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » قد كتب فصولاً طويلة بنى عليها مقدمته في شرح الكتاب ( صفحة ٦٦ — ٩٠ ) وهذه الفصول تتفق في لفظها في معظم الأحيان تمام الاتفاق مع بعض فصول كتاب البرهان ، وفي بعض الأحيان تتفق معها مع تعديل طفيف ، ولكن البطليوسي لم ينسبها الى أبي الحسين ولا إلى قدامة وانما أشعر بنسبتها الى علي بن مقلة ( المتوفى سنة ٣٢٧ ) ، ولا يمكن أن يقال إن هذا الكتاب « البرهان » هو لابن مقلة ، وان البطليوسي نقل عنه بعد ان اثبتنا أن « البرهان » أُلف بعد سنة ٣٣٥ وبعد وفاة ابن مقلة بنحو ثمان سنين كما أن شيوخ صاحب البرهان كما جاء ذكرهم « بالبرهان » لم يكونوا شيوخاً لعلي بن مقلة ولم تكن له بهم صلة قريبة ولم يكن علي بن مقلة شيعياً . والقدر المتيقن ان البطليوسي لم يحتسب على أي حال قدامة بن جعفر مؤلفاً للكتاب الذي نقل عنه على فرض أنه نقل فصوله من كتابنا هذا . ومن المحتمل ان يكون « البرهان » قد نسب مرة الى علي بن مقلة كما نسب الى قدامة بن جعفر وجهل امر صاحبه ومن المحتمل ايضاً ان يكون البطليوسي ومؤلف كتابنا هذا من قبل ، كلاهما قد نقل نقولاً من كتاب لابن مقلة في هذا الموضوع ، وهو أمر لم تساعدنا الظروف على تحقيقه .

وجملة القول ان مؤلف كتاب البرهان يجب أن تتوفر فيه من الشرائط : (١) كونه شيعياً . (٢) ان تجمعه اواصر القربى بآل وهب . (٣) أن يكون قد ألفه بعد سنة ٣٣٥ . (٤) ألا تزيد ابواب كتابه على اربعة ابواب كاملة وهذه الأحوال لا تجتمع في قدامة بن جعفر ، ولكنها يمكن ان تجتمع في مؤلف آخر وفي يدنا مخطوطة قديمة كاملة للكتاب ذكر المؤلف فيها اسمه في متن الكتاب ، هكذا « أبو الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب » فنحن على أن ننسب الكتاب اليه الى أن يظهر لنا خلاف ذلك . ولم نجد ذكراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهذا الكاتب أو لمؤلفاته في المراجع والمظان المعروفة لنا . ومن غريب الأمر أن هذا الكتاب قد نسب الى قدامة بن جعفر في طرة المخطوطة الاسكوريالية وكذلك في طرة المخطوطة التي بايدينا مع ورود اسم المؤلف في أثناء الكتاب وهو امر غفل عنه الناسخ ، وتفسير هذا التناقض يسير ، فان الوراقين كانوا يعرفون قيمة قدامة الأدبية ويعرفون شهرة كتابه في الأدب فلا يستبعد عليهم أن يضعوا اسمه على هذا الكتاب لتسهيل بيعه وتداوله ، وهذه طريقة معروفة عند النساخ والوراقين لا تخفى على المحققين ، ونذكر مثلاً قريباً لذلك كتاب « أسرار البلاغة » نشر بمصر وجاء في خاتمة الكتاب ان مؤلفه اتمه في سنة ٨٥٥ ومع ذلك نسب في طرة الكتاب لبهاء الدين العاملي المتوفى سنة ١٠٠٣ وعرف باسمه لدى الوراقين ، وفي كتب الفهارس ، وغير ذلك كثير .

وبعد فإنصافاً للعلم والعلماء ، وإنصافاً لأنفسنا كذلك لا يسعنا إلا أن ننوه في ختام هذه الكلمة بأن عالمين جليلين كانا قد أظهرا الشك في نسبة كتاب نقد النثر الى قدامة بن جعفر وانه لا بد أن يكون لكاتب آخر مجهول من اهل القرن الرابع ، وهذان العالمان الفاضلان هما الدكتور طه حسين بك والأستاذ محمد كرد علي فاستحقا منا التقدير والثناء .

وها نحن أولاء قد قمنا بما تمليه علينا الأمانة العلمية بتقديم أدلتنا على أن الكتاب اسمه « البرهان » وأنه من تأليف أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب ، وأن الجزء الذي نشر منه تحت اسم « نقد النثر » ليس إلا نحو ثلث الكتاب الأصلي الذي قد حررناه ونقدمه للطبع الآن ليكون بين أيدي العلماء في القريب ان شاء الله ليصبح موضع بحثهم ونقدهم ولست أنسى هنا أن أقدم للعلماء الأستاذ العالم محبي سينوي يلندن زميلي في تحقيق هذا الكتاب واعداده للنشر فهو يشاركني مسئولية اخراج الكتاب بما يتبعها من قبول أو نقد .

المركز الثقافي الاسلامي بلندن — الدكتور علي حسن عبد القادر

م (٦)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net